المبحث الرابع : الأثر المذهبى للآريوسيين

يتضح الأثر المذهبى من خلال التعاليم ، والمجامع التى انعقدت منذ أن أعلن آريوس مذهبه ، فضلا عن الفرق الآريوسية والتى كان لها تواجد بمصر وسائر ولايات الإمبراطورية:

أولا : تعاليم آريوس ومذهبه : اعتبر آريوس أن الابن مخلوق، وإنه قابل للتغيير كسائر المخلوقات ، وقال طالما أن الابن مولود (γενητος جينيتوس)، والآب هو الوحيد الغير المولود (αγενητος آجينيتوس); فيكون الآب وحده هو الإله لأنه يتفوق على الابن بسبب أن الابن مولود والآب غير مولود. وحيث إن الابن مولود، إذن هناك بداية لوجوده، وبالتالى كان هناك وقت لم يكن فيه موجودًا، ويتبع ذلك أن الابن بدايته من لا شيء[1].

ونادى آريوس بأن الله لم يكن دائمًا آب، بل مر وقت لم يكن فيه أبًا. وأن اللوغوس غريب عن الجوهر الإلهى وليس منه. وهو لا يعرف الله تمامًا بل لا يعرف طبيعته تمام المعرفة. وأنه خُلق لأجلنا لكي يخلقنا الله بواسطته كأداة.ولم يكن له وجود إلا بدعوة الله له للوجود من أجل محبته لنا.

كما أنكر ألوهية الروح القدس، وبذلك يكون قد أنكر الثالوث القدوس. واتبع في ذلك نظرية التدنى subordination التى نادى بها أوريجانوس.

ومن النصوص التى استخدمها آريوس لتأكيد تعاليمه قول السيد المسيح عن نفسه "الحى وكنت ميتًا" (رؤ1: 18)، يقول آريوس إنه من غير الممكن أن يقول الله ذلك عن نفسه. ويستشهد بقول معلمنا بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس عن الآب "المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذي وحده له عدم الموت ساكنًا في نور لا يدنى منه" (1تى6: 15-16). فالآب هو الوحيد وحده الذي له عدم الموت. فكيف يقول المسيح عن نفسه "الحى وكنت ميتًا" ويكون هو الله؟

---

[1]- محمود سعيد عمران ، نفس المرجع السابق،ص67،68.

كذلك استخدم آريوس آية "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده" (مت24: 36) ، واعتبر آريوس أن الابن هو أول المخلوقات، وإنه قابل للتغيير وقابل للخطية كسائر المخلوقات. وقال طالما أن الابن مولود (باليونانى γενητος جينيتوس)، والآب هو الوحيد الغير المولود (باليونانى αγενητος آجينيتوس); فيكون الآب وحده هو الإله لأنه يتفوق على الابن بسبب أن الابن مولود والآب غير مولود. وحيث إن الابن مولود، إذن هناك بداية لوجوده، وبالتالى كان هناك وقت لم يكن فيه موجودًا. ويتبع ذلك أن الابن بدايته من لا شيء.

ورغم رد أثناسيوس على الآيات التي استخدمها الآريوسيون في رسائله الأربعة Four Discourses Against the Arians ضد الآريوسيين Contra Arianos المنشورة في مجموعة نيقية وما بعد نيقية Nicene & Post Nicene Fathers، إلى جوار كتاب "تجسد الكلمة" الذي كتبه أثناسيوس وهو شماس قبل أن يدخل في الصراع ضد الآريوسية[1] ، فإن أدلة آريوس أقوى من أن يرد عليها ، فهى عصية على النقد رغم السفسطة التى استخدمها أثناسيوس[2].

لم يكن آريوس وحده هو الذي نادى بهذه الأفكار بل إن إفنوميوس الآريوسى أيضًا تبناها ودعا إليها ووجدت قبولا وانتشارا قويا ، ومن ثم كان علي أغريغوريوس النيزينزى

1-W. Arndt & F. Gingrich, A Greek-English Lexicon of the New Testament and other Early Christian Literature, the University of Chicago Press, 1979, p. 726, + G. Kittel & G. Friedrich, Theological Dictionary of the New Testament, Eerdmans Publishing Co. Reprinted 1992, abridged volume p. 965, + Strong, J. LLD. STD, The New Strong's Complete Dictionary of Bible Words, Thomas Nelson Publishers, USA 1996, p.691. ، Dr. Spiros Zodhiates, New Testament The Complete Word Study Dictionary, World Bible Publishers, Inc. lowa Falls lowa, 1992, p.1248- 1250, 260-261., J. H. Thayer, Greek-English Lexicon of the New Testament, Hendrickson Publishers, June 1996, p. 77,554.

وانظر : أثناسيوس ، تجسد الكلمة ، ترجمة جوزيف موريس فلتس ، القاهرة ، الفصول من 6-32.

2- عن سفسطة أثناسيوس أنظر : المقالة الثالثة ، ص15،14 ،59،56،23،22.

الثيؤلوغوس الناطق بالإلهيات أن يرد عليه في العظات الخمس التي تسمى Five Theological Orations مدافعا عن الثالوث . فالصراع كان أحيانًا في الإسكندرية بين الكسندروس وآريوس، وأحيانا في القسطنطينية بين غريغوريوس الناطق بالإلهيات وتلاميذ آريوس مثل إفنوميوس.

يُلخِّص لورينتز[1] تعاليم آريوس -التي نادى بها في كنائس الإسكندريّة- كما يلي ؛

1- الله لم يكُن دائماً أباً، وفي وقت كان هو الله و ليس آب.
2- الكلمة أو الابن هو خالق صنعه الله من العدم.
3- يوجد كلمتان (*Logoi*) و حكمتان (*Sophiae*) و عدَّة قُوى (*Denameis*) لله.
4- الإبن مُتغيِّر، لكنَّه ظل ثابتاً بنعمة من الله.
5- الكلمة غريب وبعيد عن الكيان الإلهي، و هو إله غير حقيقي لأنه جاء إلى الوجود (يقصد خُلق تحت الزمن).
6- معرفة الإبن لله غير كاملة، لأن الكيانات المخلوقة لا تقدر أن تعرف خالقها بشكل مُطلق.
7- معرفة الإبن لذاته ناقصة.
8- الإبن خُلق لأجلنا، لكي نُخلق نحن به.
9- الثَّالوث كائن في ثلاثة أقانيم غير مُتساوية في الجوهر.

ويتضح مما سبق الآتى :

1- : أن هذه التعاليم بلا شك فيها ما هو منتحل على آريوس فى محاولة من المخالف لتقريب تعاليم آريوس لما يعتقدونه هم ، ومن ذلك الزعم بأن آريوس كان يقول بأن الإبن خُلق لأجلنا، لكي نُخلق نحن به ، والزعم بأنه كان يقول بأن الثَّالوث كائن في ثلاثة أقانيم غير مُتساوية في الجوهر. فالقول الأول يقرب تعاليم آريوس من عقيدة الفداء والخلاص التى

1- P. C. Hanson, Search for the Christian Doctrine of God, The Arian Controversy PDF, p.21.

أصلها أثناسيوس ، والثانى يلقى على تعاليمه شبهة التثليث ، وكلا القولين آريوس برىء منهما ، ومن ثم فرغم سفسطة أثناسيوس فى تعقبه لأقوال آريوس فقد أقر بأن الأخير أذاب التعليم بالثالوث القدوس، وقلب "بناء الخلاص" كلية [1].

2- : أن اعتقاد آريوس تمثل فى أن الله واحد، غير مولود وحده، سرمدى وحده، ليس له بداية وحده. الحقيقى وحده، الذي له الخلود وحده ، وبجانب الله، لا يوجد كائن آخر. فكل ما كان خارجاً عن الله الأحَد إنما هو مخلوق من لا شيء، وبإرادة الله ومشيئته، وهذا يعني أن المسيح ، ضمن هذا التّعريف، بشرٌ مخلوق ، ولكن عن طريقه توجد قوة عامة (لا شخصية) هي "الحكمة والكلمة، وهذه التعاليم مأخوذة من "الوحدانية المقتدرة" التي أصلها وتحدث عنها بولس السميساطى.

ثانيا : المجامع المذهبية : يتضح الأثر المذهبى للآريوسية أيضا من خلال عشرات المجامع التى عقدت لاحتواء الصراع المذهبى بين الآريوسيين ومخالفيهم فى العقيدة حيث انعقد أكثر من خمسين مجمعا كانت لها آثارها فى مصر وخارجها منها مجمع نيقية سنة 325 م وقد سبق تفصيل قراراته آنفا , ومجمع روما ، ومجمع صور الذى أصدر قراره بوحدانية الله ، وأن المسيح رسول فقط [2]، ومجمع القسطنطينية الذى عقد سنة 381م ، ولم يحضره إلا مائة وخمسين أسقفاً وسبب انعقاده الاختلاف على ألوهية الروح القدس بين كل من كنيسة الإسكندرية التى تزعمت القول بالتثليث ، وأسقف القسطنطينية مقدنيوس يناصره بعض القساوسة ، ومنهم الأسقف أوسابيوس الذي أنكر وجود الأقانيم الثلاثة ، حيث ذكر أن الروح القدس ليس بإله ، ولكنه مصنوع مخلوق ، فعقد الإمبراطور ثيودسيوس الكبير مجمع القسطنطينية وقرر الآتي :

1- حرمان الأسقف مقدنيوس والأسقف أوسابيوس وإسقاط كل منهما من رتبته .

2- تقرير ألوهية الروح القدس ، وبذلك اكتمل بنيان الثالوث في نظرهم ، وصار الآب ويعنون به الله ، والابن ويعنون به المسيح ، والروح القدس ، وكل من هذه الثلاثة أقنوم (أي شخص) إلهي .

1- أنظر : المقالة الأولى ضد الآريوسيين ، فقرة 39.

2- محمد أبوزهرة ، محاضرات فى النصرانية ، ص119،120 ; وانظر : الأب صبحى حموى اليسوعى ، القديس اثناسيوس السكندرى ، ص9.

3- معاقبة كل مَن يحوز إنجيلاً مكتوباً بالعبرية ، وهذا يدل على كثرة الأناجيل واختلافها وهو ما أكده لوقا في إنجيله (1:1–4)[1].

لقد عبر المؤرخ الفذ رنسيمان عن الأثر المذهبى القوى للآريوسية بمصر وسائر ولايات الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن الرابع بأكمله من خلال تولية الأساقفة الآريوسيين على كراسى الكنائس حيث قال : " أصدر أول مجمع مسكونى ، وهو نيقية قرارا باستنزال اللعنة عليهم – الآريوسيين- ولكن الذى حدث هو أن مذهب آريوس ظل طوال القرن الرابع بأكمله يستمتع بمحبة الدوائر الراقية بالقسطنطينية ، ولم يقض على ذلك المذهب ببلاد الشرق إلا بعد انعقاد المجمع المسكونى الثانى فى 381م[2] ....".

قلت : ما ذكره رنسيمان بشأن القضاء على مذهب آريوس يقصد به إزاحة المذهب من المناصب الكنسية ، وإلا فسنجد أتباعا كثر وأثرا واضحا للمذهب خلال القرون المتتابعة لا سيما فى القرن الخامس الميلادى حيث بذ نسطور والذى يمثل امتدادا للمذهب الآريوسى ، ومن ثم فقد وجد نسطور معارضة من قبل كنيسة الإسكندرية وأصدر المجمع المسكونى الثالث المنعقد فى أفسوس قراره ضد نسطر بدافع قوة شخصية بطريرك الإسكندرية كيرلس[3].

ثالثا : الفرق الآريوسية : رفض جميع الآريوسيين اصطلاحات مجمع نيقية ، وكان أساقفة مجمع نيقية قداستخدموا في قانون الإيمان اصطلاح؟ (هومو أوسيوس) أي الواحد في الجوهر مع.. أو المساوى في الجوهر لـ..". وأرادوا أن يثبتوا بهذا الاصطلاح أن الابن مع الآب واحد، وأن هذا الجوهر هو كيان أساسي واحد.. وأضافوا بعد قانون الإيمان – بسبب المحرومين – نصا قالوا فيه بأن الابن "ليس من هيبوستاسيس آخر" أي " ليس من جوهر آخر".. وهكذا فقد أغضب الاصطلاح الأول الآريوسيين المتشددين، أما الاصطلاح الثاني فقد أغضب

1- محمد أبوزهرة ، محاضرات فى النصرانية ، ص122،123 ; وسام عبد العزيز فرج ، الامبرطورية البزنطية ، دار المعرفة ،الإسكندرية ، ص32،33.

2- أنظر : الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبدالعزيز جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط2 ، 1997م ، ص132.

3- رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ص132،133.

الآريوسيين المعتدلين.. (أو أنصاف الآريوسيينSemi – arians [1]) ويبدو أن القانون دبجه لاهوتى غربي من المحتمل أن يكون "هوسيوس" أسقف قرطبة ، وكلمة "Hypostasis"هيبوستاسيس" هي ترجمة للكلمة اللاتينية "Substantia[2]" إلا أنه في الغرب – نظرا لعجز اللغة اللاتينية حيث كانت كلمة Substantia تعنى كلا من أوسياOucia أي الجوهر أو الكيان ، وكلمة "هيبوستاسيس Hypostasis "أي القوام أو الأقنوم .

ويمكننا أن نفصل الحديث عن فرق الآريوسيين التى كان لها تواجد بمصر وسائر ولايات الإمبراطورية فى الآتى :

1- الآريوسيون المعتدلون :كان الآريوسيون المعتدلون (Semi – Arians) أوريجانيين قدامى وكان يتزعمهم أسقف قيصرية أوسابيوس ، وقد أصروا على التمييز المشدد بين الآب والابن، ورفضوا أيضا اصطلاحى مجمع نيقية لأنهما لم يردا بين نصوص الانجيل.

وبعد موت أوسابيوس قام باسيليوس أسقف أنقيرا وجورجيوس اللاوديكى بتنظيمهم وتميزوا بوضوح أكثر من الآريوسيين الآخرين ، وذلك في مجمع ميديولانوس عام 355 م. حيث أنهم قبلوا "تماثل الجوهر" أو التشابه في الجوهر "هوميوأوسيوس" الأمر الذي من أجله أطلق عليهم اسم "هوميوأوسيين" وكانوا يختلفون عن القائلين "بالتساوى في الجوهر" أي "الهوموأوسيين" قليلا، ولذلك أطلق على النزاع بينهم أنه نزاع على لا شيء [3].

2- الآريوسيون المتشددون وكانوا قد نشأوا عن اللوكيانيين ، وكان يرأسهم في البدء يوسابيوس النيقوميدى (فيما بعد أوسابيوس القسطنطينى)، وهذا الفريق تشدد في الفصل بين الآب والابن بدرجة أكبر، وبعد موت أوسابيوس في عام 341. برز بين صفوفهم "ايتيوس" الأنطاكى الذي اندفع إلى تعاليم آريوس الأشد تطرفا من أجل تكوين فريق آريوسى جديد،

1- هسى ، العالم البيزنطى ، ص36 ، هامش 1.

2- كلمة "هيبوستاسيس "Hyposasis اليونانية تعنى القوام، أو الأساس – أو ما يقف عليه الشئ – "الدعامة" أو طبيعة الشئ، أو الشخص، أو أقنوم.

3- أنظر : رأفت عبدالحميد ، الفكر المصرى فى العصر المسيحى ، ص203.

وهذا الفريق الجديد تشكل بطريقة أكثر تنسيقا على يد تلميذه "يونوميوس" ، وقد ذهب هذا الفريق إلى أن جوهر الله في عدم الولادة. أما جوهر الابن ففي كونه مولود ، ومن ثم فإن جوهرى الآب والابن ليسا فقط شبيهين بل نقيضين تماما ، ولكى يؤكدوا تمييزهم لله الآب أعتادوا أن يمارسوا المعمودية بغطسة واحدة فقط بدلا من ثلاثة غطسات.

3- الأوموين (الهوموين) ويعرفون بالشبيهيين، وقد تشكلت هذه الفرقة بإيحاء من الإمبراطور قنسطنطيوس Constantius ، وقد استخدم الهوموين اصطلاح "أوميوس "OMIOS(أي شبيه أو مثيل دون تحديد)، إلا أن ذلك لم يكن لاهوتهم الخاص. بل – بحسب الظروف – كانوا ينحازون لفريق أو لآخر، وقد أدى ذلك إلى إضفاء تفسيرين على كلمة أوميوس OMIOS فصار من الممكن أن تعنى إما "تشابه الجوهر" أو تشابه المشيئة ، واتخذ مشايعو هذا الفريق لزعامتهم أساقفة الحدود الشمالية أمثال أورساكيوس السنجدونى، وأولتتاس المورصى وأكاكيوس القيصرى، وقد فرضوا وجهة نظرهم في المجمع الذي انعقد في سرميوس عام 359م.

4- الأنوميون وهم الذين ينكرون أى شبه بين الآب والابن[1].

[1]- صبرى أبوالخير سليم ، تاريخ مصر فى العصر البيزنطى ، دار عين ، القاهرة ، ط1 ، 1997م ، ص46.